ج.ش.ت.ف وقضية تحرر المرأة

وجهت مجلة ((ريسك)) الناطقة بلسان ((المجلس العالمي للكنائس)) عدة اسئلة الى الرفيقة ليلى خالد حول مسالة تحرر المرأة عبر النضال الفلسطيني ، وقد اجابت الرفيقة ليلى على هذه الاسئلة في العدد الخاص الذي اصدرته ((ريسك)) في جنيف مؤخرا عن حركات التحرر الثورية ، وتياراتها ، في العالم .
وفيما يلي تنشر ((الهدف)) نص المقابلة .

« الهدف »

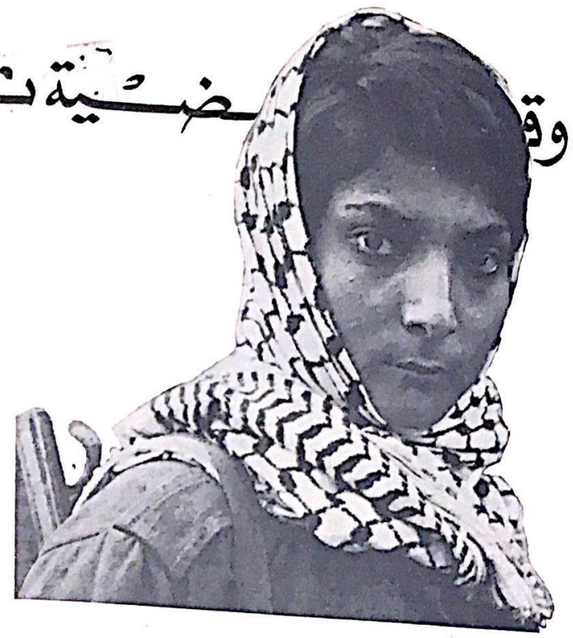

■ سؤال : ما هو الدور الذي تلعبه المرأة الان في الثورة الفلسطينية ؟

●● جواب : اذا كان الرجل الفلسطيني ثائرا على الاحتلال وما يمثله من قهر قومي ، وعلى علاقات الانتاج وما تمثله من قهر اقتصادي واجتماعي، فان المرأة الفلسطينية ثائرة مثله على كلا القهرين وتزيد على ذلك اكثر منه انها ثائرة على وافعها الاجتماعي الذي كان يكبلها ، وثائرة على انوثتها التقليدية .

وهذا يعني انه اذا كان الرجل الفلسطيني (وهذا الواقع ينطبق في الحقيقة ليس على الفلسطينيين وسائر العرب فحسب ، بل على القسم الاكبر من العالم الثالث) ـ اذا كان الرجل الفلسطيني مستبدا من قبل الاضطهاد الاقتصادي في مجتمع راسمالي او اقطاعي، فان المرأة مستبدة ، بالاضافة لذلك ، اجتماعيا ، وهي تتعرض لاستغلال الرجل، والنشاط التنظيمي في مختلف اشكاله ، وقد واجهها المرأة الفلسطينية عند دخولها الى العمل الثوري ، ان التقاليد والعادات (بالاضافة للبنية الاقتصادية للمجتمع التي تحتم على المرأة ان تكون تابعة للرجل كليا) تجعل من قدرة المرأة على اتخاذ قرار بالانتحاق بالثورة مسالة في غاية الصعوبة ، واصعب من ذلك بكثير القدرة على ممارسة ذلك القرار .

ولذلك فان الخطوات التي خطتها المرأة الفلسطينية في نطاق العمل الثوري هي ، مقارنة بكل تلك الصاعب ، خطوات كبيرة ومثيرة للاعجاب ، ولكنها تختلف من تنظيم الى تنظيم اخر في المقاومة الفلسطينية قياسا على القناعات الايديولوجية والاجتماعية والسياسية لهذا التنظيم او ذاك .

ان مسالة دور المرأة في الثورة مسالة لها علاقة مباشرة بالموقف الايديولوجي والاجتماعي الذي يفقه تنظيم سياسي او نضالي معين ، هذا اذا ادركنا ان قضية تحرر المرأة ومشاركتها في الثورة لا يمكن ان يتم بصورة عميقة وجادة الا من خلال العمل التنظيمي . وبالنسبة للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين فان المرأة تتمتع بمساواة كاملة مع الرجل ، وهذا يعني انها تستطيع ، عن طريق الديمقراطية التي يمارسها تنظيم الجبهة ، الوصول الى اعلى المراتب القيادية ان هي امتلكت المواهب والامكانيات التي تؤهلها لذلك .

ولدى الجبهة الشعبية نساء مقاتلات اثبتن في مناسبات عديدة انهن لا يخلفن عن افضل المقاتلين من الرجال ، ان الرفيقة ((عايدة سعد)) في غزة ، المحكومة الان بالسجن المؤبد ، كانت مقاتلة من الدرجة الاولى ، وكذلك الشهيدة ((شادية ابو غزالة)) في نابلس التي قتلت في ١٩٦٨ ، والجميع يذكرون الرفيقة امينة دحبور ودورها القتالي في زوريخ حين هاجمت طائرة ((العال)) الاسرائيلية هناك في شباط ١٩٦٩ ، واذا سالتم في مخيم الوحدات في عمان عمن قاد المعركة المسلحة هناك في ايلول ١٩٧٠ لمدة عشرة ايام فستسمعون الكثير عن بطولة رفيقتنا المقاتلة ن .

بالاضافة للادوار القتالية ، التي اثبتت فتيات الجبهة الشعبية خلالها تفوقا ملحوظا ، فان المرأة في الجبهة الشعبية تعمل في التوعية السياسية والتوعية الاجتماعية والنشاط الطبي والنشاط التنظيمي في مختلف اشكاله ، وقد اثبتت في هذه المجالات كلها انها فعالة ، وان ما كان ينقصها في الماضي ليس الارادة ، ولا الكفاءة والموهبة ، ولكن التحرر من قيود المجتمع القديم، والانطلاق نحو لعب الدور اللائق بها من خلال تنظيم ثوري .

ان الدور الذي لعبته فتيات الجبهة الشعبية في تعليم الامين في المخيمات ، وفي تشغيل النازحات على الات الغزل لكي يتحولن الى قوة انتاجية ، هو دور ملحوظ .

ولكنني اريد ان اوضح بان هذا الكلام لا يعني على الاطلاق اننا قد حللنا قضية تحرر المرأة ، والواقع ان كل ما فعلناه بشكل شيئا اكثر مما نتوقع خصوصا ولكن اقل مما نريد نحن ، فهذا النوع من النضال يتطلب وقتا وجهدا طويلين ، ولا شك ان القسم الاكبر منه يحدث عندما يجري تحويل حقيقي في ملكية وسائل الانتاج ، الامر الذي ينبغي ان يحرر المرأة اقتصاديا ، وبالتالي تصبح عملية التحرير الشاملة للمرأة ممكنة اكثر ، ومنطقية اكثر وتعطي نتائج اكبر واسرع .

■ سؤال : هل يؤدي الدور الذي تلعبه المرأة في الثورة الفلسطينية الى تأثير على دور وواقع المرأة في المجتمعات العربية عموما ؟ اذا كان الجواب نعم ، فكيف يحدث ذلك ؟

●● جواب : علينا ان نميز هنا بين طبقة وطبقة . ان كلمة ((المرأة العربية)) كلمة خادعة في هذا المجال ، فمن اي من النساء العربيات ترانا نتحدث ؟ عن الريفية في جنوب لبنان ام عن طالبة الجامعة الاميركية في بيروت ؟ عن السيدة المحافظة في دمشق او عن سيدة المجتمع(المتحرر) في شارع الحمراء في بيروت ؟ عن الفتاة السودانية المنتسبة بشجاعة الى الحركة الوطنية والعاملة فيها ، ام عن بدوية في صحراء اليمن ؟

اعتقادي انه يتوجب علينا ايجاد قياس ما للتحدث في هذا المجال كي يكون حديثنا اصوب واكثر واقعية ، وبصفتي منتسبة الى ايديولوجية الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ، فان القياس هنا بالنسبة لي لا يمكن الا ان يكون القياس الطبقي .

ومن هنا تصبح الاجابة على هذا السؤال ممكنة على النحو التالي :

ان المرأة الفلسطينية المنضوية تحت لواء الثورة والعاملة في نطاقها تعطي يوميا للمرأة الفلسطينية والمرأة العربية بالعموم نموذجا ومثالا عن كيف تستطيع المرأة ان تتحرر ، وان تقرر لنفسها ، وان تكون حرة بالمعنى الحقيقي دون ان تفقد ((شرفها)) ، وانها تستطيع ان ترفع عن كاهلها عبودية الرجل وعبودية المجتمع عموما.

ان هذا المثال الذي تقدمه المرأة الثورية لا يفعل بالطبع فعله بسرعة ، ولا تحدث معجزة بين عشية وضحاها ، ولكنه ، في البدء ، يقع ثم الاعجاب ، ثم يبعث على التفكير ، وشيئا فشيئا ياخذ هذا الدرس الصغير ، عن طريق التكرار والاستمرار ، بالاختمار ليعطي ثماره بالتدريج . وهذا ما نعنيه عندما نقول ان عايدة او شادية او ليلى او امينة او ناديا لسن في الواقع مهمات لذاتهن ، ولكن لانهن يطرحن في المجتمع البذور التي ستخصب في المستقبل بالثورة الاعمق والاشمل ..

■ سؤال : ما هو موقف الرجل اراه مثل هذه التغيرات ، فلسطينيا وعربيا ؟

●● جواب : علينا ان نتداول الرجل العربي هو ايضا ، على الاقل فيما يتعلق بالطبقات التي نتحدث عنها ، مستقل ومستعبد ، ولا شك ان تحرره هو بسهم في تحرير المرأة التي تتعرض بدورها لاستغلال مضاعف : استغلال الرأسمالية الذين يستغلون الرجل ، لم استغلال الرجل.

انه من المؤكد ان الرجل لن يتخلى عن « امتيازاته » بسهولة ، ولكن ذلك لا يعني انه لن يتخلى عنها اذا كانت كل البراهين تشير بمصلحته ، بل من المؤكد انه سيكون طريقه الى سعادة اعمق واجدى ..

ان جزءا كبيرا من عبودية المرأة راسخ في راس الرجل ، ولذلك فان قسما مهما من عملية تحرير المرأة يجب ان تجري عبر تحرير الرجل.

ومن هنا نحن نقول ، في الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ، ان قضية تحرر المرأة هي قضية اكثر شمولا من مسالة اسداء النصح والارشاد ، او التشجيع والحث ، للمرأة ، بل هي مسالة تجري مع مجموع الجهود الرامية الى تحرير المجتمع من كل اشكال القهر والاستغلال على الصعيد الوطني والاقتصادي والاجتماعي ، وكذلك على صعيد العادات والتقاليد الرثة ، والتي لا بد ان نجدها جميعا في جذور «الشوفينية الرجل .

ان الكثير من الرجال ، خصوصا الجيل الاسيق ، يجد صعوبة فائقة في ان يرى « حرية المرأة » ممثلة في شيء غير حرية الجنس ، حرية التهتك ، وحرية الابتذال .

ونحن نستطيع ان نفهم تلك الصعوبة ، لان ان السينما والصحف والتلفزيون والطبائع الرديئة الثقافية القادمة من الغرب قد صورت تحرر المرأة وكانه ، فقط ، حرية الجارية في اختيار سيدها ..

ان كل هذه الموجة منقول لنا : اقرؤوا ! صار بوسع المرأة ان تختار بنفسها الرجل الذي ستعبدها ! . .

وذلك شيء ، بالطبع نرفضه لان « البعد الجنسي » في تحرر المرأة قد غلب على البعد الحقيقي والكلي للتحرر الذي نكافح من اجله .

ان هذه الموجة من التحرر الزائف ، القادمة من الغرب الراسمالي والذي جعلته وكانه هو فقط مصير نضال المرأة التحرري في بلادنا ، قد ارعب ـ ليس فقط رجالنا المشدودين بالليف الى تقاليد وعادات وقناعات راسخة الجذور من عهود البداوة وعهود الاقطاع ـ بل ارعبنا نساؤنا اللواتي وجدن في هذا النوع من «التحرر» ابتذالا بعيد عن المحافظة الشرقية ...

ولذلك ببساطة ، نحن نقاتل في آن واحد ضد عبودية المجتمع القديم وضد عبودية المجتمع « الجديد » .. نقاتل من اجل مساواة حقيقية وتحرر حقيقي .

نتيجة هذا نتوصل الى وضع مثير للانتباه : في البدء نجد تعتنا صعبا من قبل عائلاتنا ، في انتزاع افكارهم عن حرية المرأة ، التي لا تعني ان « حرية التهتك » في رايهم ، مسالة بالغة الصعوبة او تكاد تكون مستحيلة ولذلك فان خروج المرأة من العائلة وقيودها يكاد يكون دائما « النقب الانتحاري » ، شيئا يشبه المحاولات التي يبذلها فريق للنجاة فيزداد غرقا ، ونفهم ان هذه التوجهات كجزء طبيعي من عملية البحث الساخنة عن حلول وعن مخارج ، ولكننا لا نؤمن بثر العمل الثوري الجماعي ، من خلال تنظيم ثوري يستهدف نسف كل العلاقات القديمة التي بالاطر العميق لهذا الواقع ، فذلك هو الطريق الوحيد . انه الطريق الاصعب ، ذلك صحيح، ولكنه الوحيد ■

بقلم المؤرخ الماركسي الفرنسي جان شينو

• التراث العسكري الصيني وحرب الشعب الثورية

تعرف قارىء ((الهدف)) للمؤرخ الشيوعي الفرنسي جان شينو من خلال المقال الطول الذي نشرته له ((الطليع القومي للشيوعية العثمانية)) في عددها ٩٧ و ٩٨ حول التي هي من اهم الاضافات الماركسية التي حققها ماوتسي تونغ .

« الهدف »

ليس هناك شعب يحب الحرب . خلال قرون طويلة ، تحمل الملايين الصينيون ثقل الاجتياحات العسكرية المرهق والمفروض عليهم ، وانعكس هذا الثقل في مرارة الشعر الشعبي والنثر الكلاسيكي الصيني ، ولا يكمن وجه الانكسار في التراث العسكري الصيني في النزعة السلمية العميقة لدى الشعب ولا في النزعة الحربية لدى الطبقات المحاكمة . ان ما تتميز به الصين الفذية هو هذا التحديد المعين للوظيفة الحربية المجال كما في مجالات عديدة اخرى ، فحصل الازدواجية اليونانية ـ الغربية التي اعتدنا عليها لصالح كلية ضرائط المناصر .

ليس هناك تعارض مطلق في الصين القديمة بين العسكريين والمدنيين ، بين الجيش والادارة بين حالة الحرب وحالة السلم .

ان وظيفة البيروقراطي الكنفوشي ، خلال سنوات خدمته ، تتنقل من المجال القضائي الى المجال العسكري او الثروي والى ادارة اشغال الري او الى قيادة الكتائب الحملات العسكرية. ولم يكن هناك ، في الصين القديمة ، حدود واضحة الملامح بين الجيش النظامي والميليشيا القروية التي كانت تعبأ في فترات الازمات الخطيرة ، ان انتفاضة البوكسر (الملاكمين) التي فوجيء الاوروبيون بها كثيرا ، ليستعدي احدى المعابر الجديدة في هذا اللجوء الى الميليشيا الفلاحية قرنا بعد قرن .

ولم يكن هناك ابدا انقطاع جذري بين الفنون العسكرية والفكر السياسي ، ولا يمكن ان نفصل مثلا مبادىء سون تزي الاستراتيجية عن معاهيمه الاجتماعية او حتى الفلسفية . وسون تزي ، هو احد اكبر المفكرين العسكريين خلال التاريخ ، عاش في الصين في القرن الخامس قبل المسيح .

وكان المبدأ الاساسي لسون تزي « اعرف عدوك واعرف نفسك فيمكنك ان تخوض مئة معركة دون مجازفة » . والمهم بالنسبة لسون تزي هو محصلة المعطيات النفسية والاقتصادية والسياسية التي تتوقف عليها ميزان القوى العسكرية ، وليس فقط مجرد الاحتكاك الصدامي والمستقل بين هذه القوى العسكرية . ان جاسوسا مفيدا او طالب رشوة سيساوي بالاهمية مع كمية من المقاتلين . يقول الاستراتيجي سون تزي « ان الجيش الجيد يكسب انتصاراته قبل ان يخوض المعارك » . ان المهم هو حشد اوضاع ملائمة اجمالا ثم ترك الامور تسير بمجراها الطبيعي (ان « الوو ـ وي ») التاوي ـ اي « عدم العمل » ليس سلبية وكسلا بل هو الحكم النفسي بصورة واعية في سير العملية التاريخية الموضوعية) .

فالجوهري بالنسبة لسون تزي هو شل العدو، وليس هناك حاجة لدعم العدو كما يريد كلاوزفيتز ، الذي كثيرا ما قورن سون تزي ، ان توفير الوسائل هو القانون الاسمى ، وبالمقابل فان سون تزي وكلاوزفيتز يتفقان حول نعوت الدفاع على الهجوم ، لان الدفاع يسمح بالحد الادنى من السيطرة على شروط الكفاح ، ويعبر سون تزي عن هذه الفكرة غير صورة « تاوية » هي صورة « الليء » و « الفارغ » . يجب على الجيش ان يتجمع حول نواة المقاومة لدى العدو كالماء حول الحجارة ، واستعمال الفارغ للسيطرة على الليء (وسوف يستعمل ليدل حرث هذه الصورة مجددا من اجل تحديد الطاقة المبتكرة للمخترعات) .

« الليء والفارغ » ـ هذه الصيغة تشكل تحديدا ممتازا للاستراتيجية الفيتنامية (سنوات ١٩٤٨ ـ ١٩٥٠) قبل الهجوم على كاوبنغ . وقد نقل هوشي منه شخصيا مؤلفات سون تزي الى الفيتنامية الحديثة .

في هذه الاستراتيجية السياسية ـ الفلسفية يلعب مفهوم التطوق دورا جوهريا ، فهو بلور وحدة الدفاع والهجوم ، وامكانية قلب وضع ما بتطوق مضاد ـ واللعبة المفضلة لدى المثقفين في تاريخ حمال الحزب . كانت الطبقات السائدة في الصين القديمة (التي ورث دورها وان شي كاي وشان كاي شك) ترتكز على القوى العسكرية، ولم يكن امام المعارضين السياسيين (الجمعيات السرية) مخرج سوى التمرد المتاح ضد السلطات الامبراطورية .

هذا القانون الاساسي الذي حكم السياسة الصينية في القرون الماضية ، كان لا زال سر محرى السياسة في صين القرن العشرين ، وان فصل المأوية التاريخي كان في صياغة وتحليل هذا القانون بصوره بالغة الوضوح . ان تركز التوسعيين الصينيين على الحرب وعلى الكفاح المسلح ليس الا من قبيل الصدفة ، بل هو اقرار لكل التاريخ السياسي ـ العسكري الصيني .

وقد بدا ماو بصياغة مقولاته المركزة حول « الحرب الثورية » في قمة الحرب ضد اليابان. تري ماو ، كما كان يرى سون تزي ان الحرب والسياسة هما شيء واحد . فلا يمكن اذا فصل الجيش الثوري عن القوى الشعبية التي يعبر عن مصالحها ، لانه بالاساس اقرار من هذه القوى الشعبية التي تعده بالعناصر البشرية والقوت والدعم المعنوي . تلك هي بالنسبة الماء والسمك . وفي كتب الحرب ، يلعب العامل البشري ، العامل السياسي دورا حاسما : يجب القيام بكل الجهود الممكنة لتمين الجيش الثوري واصناف الجيش الرجعي ، فوسياسية وافساده للمناطق المحررة ، وربيه ايديولوجيه دعاية وتحريض في صفوف العدو ، عمليات تخريب ... الخ .

حرب الشعب هذه هي اذا وبالضرورة ، على المستوى التكتيكي ، حرب شديدة اللامركزية . كل وحدة قتالية هي دائمة الترك وتتمتع بهامش واسع للمناورة المحلية . كل معركة ، كل اشتباك حتى لو كان تانويا هو عنصر مكون لوضع اجمالي ، كما في لعبة (الواي كاي) التي يجب ماو الاستيلاء بها ، كل تطويق هو تحت وحدة طوق مضاد ، كل دفاع هو هجوم محتمل ويمكن ان ينقلب الى هجوم .

المهم هو اضعاف العدو ، وليس احتلال الارض كهدف قائم بحد ذاته ، على المدى القصير . المهم هو افل اهمية على المدى البعيد . ان ضرورة اخلاء محافظة يينان في ربيع ١٩٤٧ ، بسبب حملة تشيانغ الكومنتانغ بقوات متفوقة ، لم تكن لها سوى اهمية تانوية ولم تؤثر على مصير الحرب ككل .

ان حرب الشعب هي بطبعها دفاعية ،ونواة هذه الحرب هي تفاعل علاقات الاضطهاد الداخلية والخارجية . ان فكرة « الانتفاضة المسلحة العامة » لي ماو » هي غريبة عن مقولات ماو ، كما هي غريبة عن الخمسين عاما من الممارسة الثورية الصينية ، ان الظروف التي تؤدي بالشعب الى الدفاع الذاتي المسلح تنفع شيئا فشيئا ضد اليابانيين او الكومنتانغ ، ضد الفرنسيين او الاميركان . لكن هذه الحروب الدفاعية لها دينامية الخاصة ، وتتحول الى حرب هجومية بقدر ما يصبح ميزان القوى ملائما. وهكذا يمكننا ان نفهم التناقضات الظاهرية في السياسة الصينية بالنسبة للغزو الاميركي لفيتنام ـ مظاهر تضامن تنشيط من جهة ، ورغبة في اتاحة الفرصة لادلة الطبيعية للدفاع عن النفس لدى الشعب الفيتنامي التي تلعب دورها كاملا ، من جهة اخرى .

لقد افهمت الصين واشنطن بشكل واضح انه اذا وجد اذا وجد الشعب الفيتنامي نفسه فجاة في وضع لا يطاق (غزو بري ، قنابل ذرية ...) فسوف تدخل فورا ..

وهذا التدخل هو جزء من مظاهيات الدفاع عن الصين كما هو جزء من مبادىء التضامن البروليتاري الاممي التي تؤمن بها الثورة ، لكن الصين الشعبية مقتنعة ، في نفس الوقت ، ان حرب الشعب تنتهد من امكانيات الشعب المغزو، وهي تثق بقدرة فيتنام على الصمود .

ان زيارة شوان لاي الاخيرة الى هانوي هي بنفس المقدار تعبير عن الثقة السياسية بشعب فيتنام واقدار عسكري للولايات المتحدة ، وهذه الزيارة هي احدث تعبير عن هذه الوحدة القديمة بين السياسي والعسكري ، بين الدفاع والهجوم ، التي تعبر بها النظريات الصينية حول الحرب .